إضاءات نقدية (مقالة محكمة)
السنة الثانية عشرة، العدد السادس والأربعون ـ صيف ١٤٠١ش / حزيران ٢٠٢٢م
DOR: 20.1001.1.22516573.2022.12.46.4.8
صص ١٠٣ ـ ٧٧

النموذج الأولى للكائنات الشيطانية فى ديوان إقبال اللاهورى الفارسى (تحليل أسطورى بناءً على نظرية يونغ)

جواد خلج*
نسترن صفارى (الكاتبة المسؤولة)**

الملخص

العلامة إقبال اللاهورى مفكّر وفيلسوف معاصر. يمثل الجزء الرئيس من ديوانه الفارسى أفكاره وآراءه ولقد انعكست أفكاره فى ديوانه بشكل جلى، وبما أن هذه القصائد كتبت فى الغالب من وجهة نظر فلسفية وصوفية وتركزت على رؤيته للإنسان المثالى أو الكامل، لذلك لم يتم دراسة هذه القصائد من زاوية المنهج الأسطورى الأصلى أو توظيف النماذج الأولية من قبل الباحثين. يسعى هذا البحث، باستخدام أسلوب النقد والتحليل النصى، إلى التحليل الوظيفى فى خلق المعانى والدلالات للكائنات الشيطانية فى هذه القصائد بناءً على نظرية يونغ. النقطة المشتركة بين وجهة نظر يونغ النفسية ونظرة إقبال اللاهورى الفلسفية الصوفية، هى العلاقة بين نمطى "الذات" و"الظل" فى ضمير اللاوعى الجماعى مع العقل الواعى من خلال عملية التفرد والذاتية. فى هذا البحث يتم دراسة العلاقة بين النماذج الأصلية بعملية التفرد من خلال تحليل جذور هذه النماذج البدائية فى العقل اللاواعى الفردى والعقل اللاواعى الجماعى وفى البنية النفسية للإنسان، وتقدم أمثلة عديدة عليها. توصل هذا البحث إلى العلاقة المهمة بين النموذج الأصلى للظل أو النصف المظلم والسمات البغيضة لشخصيتنا مع الكائنات الشيطانية وإبليس والتنانين والعفاريت وكل ما هو مشمئز لنا.

الكلمات الدليلية: إقبال اللاهورى، نظرية يونغ، الأسطورة، الظل، الشيطان، التنين، العفريت.

---

*. طالب دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية**، كرج، إيران
. أستاذة مساعدة فى اللغة الفارسية وآدابها، فرع كرج، **جامعة آزاد الإسلامية، كرج، إيران
safarinastaran@yahoo.com

تاريخ الاستلام: ١٤٤٣/٠٩/٢٨ق **تاريخ القبول:** ١٤٤٤/٠٢/٢٢ق

المقدمة

العلامة محمد إقبال اللاهورى فيلسوف وعالم معاصر استخدم لغة الشعر الغامضة لنقل مفاهيم صوفية وفلسفية عظيمة ومن خلال تقوية الحركة العقلانية للعالم الإسلامى، مهّد الطريق للحوار والتفاعل بين الأمم. هذا المفكر العظيم، بإتقانه الذى لا يوصف للأساطير الهندية والإيرانية إلى جانب التوظيف الدلالى، يؤسس علاقة وثيقة بين الإنسان والعالم بداخله وخارجه من أجل أن يوصله إلى الوحدة والفردية من خلال توحيد ودمج العقل الواعى بالعقل اللاواعى الفردى. يقدم هذا الشاعر الشهير الإنسان فى أشعاره على أنه حفنة من الغبار يسجد أمامه الملاک، ويطلب من هذا المخلوق الثمين أن يكشف السر الخافى فى الوجود الذى يمثل الغرض من خلق الإنسان. يصوّر بشكل جميل وبكلمات غامضة أسطورة الخلق فى الحوار بين الماء والأرض ويذكره بهدف خلق الإنسان ومكانته فى الكون، وينقل رغبات واهتمامات الإنسان المعاصر من العقل الباطن للفرد للعقل الواعى. ويمهد الطريق للعودة والبعث.

صورة المسألة

من خلال دراسة قصائد إقبال واستخدامه للأساطير والنماذج الإيرانية القديمة، من أجل تلطيف الموضوعات الفلسفية والصوفية، ومن ناحية أخرى، تركيزه على معرفة الذات وشرح الإنسان المثالى، تم إنشاء هذه العقلية لدى الباحثين أنه يمكن من خلال تحليل قصائد إقبال، ربط الدلالات بين مفهوم الظل فى نظرية يونغ من جهة والكائنات الشيطانية فى الأساطير من جهة أخرى، ومن وجهة النظر هذه، تمت دراسة ديوان العلامة إقبال اللاهورى.

أسئلة البحث

نعتزم من خلال هذا البحث الإجابة على الأسئلة التالية:

١. ما هى الشخصيات السلبية المشتركة والمنسجمة فى النص بين الأساطير والنماذج البدائية أو الأصلية فى ديوان إقبال اللاهورى؟

٢. هل من الممكن إيجاد علاقة هادفة بين النموذج الأصلى لـ"الظل" فى نظرية يونغ والكائنات الشيطانية فى الأساطير التى استخدمها العلامة إقبال اللاهورى؟
٣. بما أن الأساطير لها بنية مشابهة للعقل البشرى (نظرية ليفى شتراوس)، فى أى جزء من بنية العقل البشرى يمكن وضع الكائنات الشيطانية؟
٤. وفقاً لنظرية يونغ، هل يمكن أن تمثل الشخصيات الشيطانية جزءاً من محتويات العقل اللاواعى الجماعى لجميع البشر؟

فرضيات البحث

١. اختار العلامة إقبال اللاهورى شخصيات سلبية مثل الشيطان وإبليس والتنين والعفريت من الأساطير والنماذج البدائية فى قصائده حتى تكون مألوفة ومعروفة للبشرية.
٢. النموذج الأصلى للظل هو السمات البغيضة التى نتجنبها ولا نريد مواجهتها، ومن وجهة النظر هذه، لها علاقة هادفة وبنّاءة مع الكائنات السيئة والقبيحة والحقيرة، وعادة ما تكون الظلال فى النص الكلاسيكى هى الشيطان أو إبليس وفى الأفلام تظهر كشخصيات سلبية مثل الساحرات أو البطل الضد.
٣. وفقاً لنظرية ليفى شتراوس، تمتلك الأساطير بنية مشابهة للعقل البشرى. إذا اتخذنا بنية العقل وفقاً لـ"النموذج الطبوغرافى للعقل" على ثلاثة أجزاء من الوعى، ما قبل الوعى واللاوعى، ستكون الكائنات الشيطانية جزءاً من العقل الباطن أو اللاوعى ويمكننا إعادتها إلى منطقة الظلام فى أذهاننا.
٤. وفقاً لنظرية يونغ فإن لبنية النفس البشرية الضمير الواعى، واللاوعى الفردى واللاوعى الجمعى حيث يكون النموذج الأصلى لـ"الظل" والنموذج الأصلى "للذات" والنموذج الأصلى لـ"الأنيما والأنيموس" فى اللاوعى الجمعى. والشخصيات الشريرة جزء من النموذج الأصلى لـ"الظل".

خلفية البحث

هناك دراسات وأبحاث عديدة أنجزت حول ديوان العلامة إقبال اللاهورى، منها

مقالة عنوانها «بررسی اساطير خدايان در شعر علامه اقبال» (دراسة أساطير الآلهة فی قصائد إقبال) (شهبازی، ١٣٩٥ش)، مقال «اقبال لاهوری و شيطان» (إقبال اللاهوری والشيطان) (مقيسة: ١٣٩٥ش) و«تقابل های معنايی در اشعار اقبال لاهوری» (التناقضات الدلالية فی قصائد إقبال) (فاضلی، ١٣٩٢ش) أطروحة عنوانها «عناصر اساطيری و حماسی در شعر شاعران برجسته مشروطه» (العناصر الأسطورية والملحمية فی شعر شعراء الدستورية البارزين) (عباس زاده، ١٣٨٩ش) وأطروحة ماجستير لكاتب المقال «اسطوره و عناصر كهن در اشعار علامه اقبال لاهوری» (الأساطير والعناصر القديمة فی قصائد العلامة إقبال اللاهوری) (خلج، ١٣٩٧ش وأيضاً «بررسی شخصيت های اساطيری، تاريخی و دينی در ديوان اقبال لاهوری» (دراسة الشخصيات الأسطورية والتاريخية والدينية فی ديوان إقبال اللاهوری) (عيسی زادگان، ١٣٩٩ش) وهذه الأطروحة ليست سوی إعادة سرد لشخصيات أسطورية وتاريخية ودينية. وبالتالی لم يتم إجراء تحليل أسطوری للنموذج الأصلی يركز علی نظرية يونغ، وفی هذا الصدد، تعتبر هذه المقالة عملاً جديداً من نوعه. الغرض من هذه الدراسة هو الكشف عن نقاط مشتركة بين رؤية إقبال اللاهوری لشخصية الإنسان ومعتقداته الأسطورية مع يونغ ونظرياته النفسية التی تستكشف العقل البشری.

محمد إقبال اللاهوری[١]

مولانا إقبال، هو عبقری فی الثقافة واللغة والأدب الفارسی، وهو شخصية ذات أبعاد مختلفة، كل منها بمفردها يمكن أن تكون مصدر شهرة من الشخصيات التاريخية. يمكن اعتبار إقبال ذا ١٢ شخصية مستقلة، أی فيلسوف وشاعر ومصلح ومعلّم وعالم اجتماع، مؤسس وطنی مستقل، فقيه، عالم فی العلوم القرآنية، عالم فی الشؤون الإيرانية، لغوی، مؤرخ وعالم إسلامی. (بقائی، ١٣٨٥ش: ١١)

تركز الفكرة الكاملة لفلسفة إقبال الإنسانية على "الذات" وفی "اسرار خودی" (أسرار الذات) للمثنوی، يسرد مسار التطور والتنامی للإنسان. كتب "أسرار ورموز"

١. . (محمد اقبال لاهوری ١٣٣٣-١٣١١/ Iqbal)، mohammad

و "زبور عجم" و "رسالة المشرق" و"جاويدنامه" و "پس چه بايد كرد ای قوم مشرق" (ماذا يجب فعله يا أهل المشرق) و "المسافر" و "هدايا من حجاز" كلها فی كتاب عنوانه "مجموعة الأشعار الفارسية للعلامة إقبال اللاهوری". وقد اعتمد هذا البحث فی استناده للأبيات على هذا الكتاب.

نظرية يونغ

كارل غوستار يونغ[1]، طبيب نفسی ومحلل نفسانی سويسری عمل مع أستاذه فرويد لمدة سبع سنوات. «القاسم المشترک بين يونغ وأستاذه فرويد، هو الإيمان بوجود العقل اللاواعی وتأثيره المحدد على السلوک الفردی. وأما الاختلاف الرئيس بين وجهات نظر "يونغ" و"فرويد" فهو أن فرويد يعتقد أن العقل اللاواعی لكل شخص هو مختص لذلک الشخص فحسب، ويختلف عن العقل اللاواعی للآخرين. ولكن يونغ توصل بدوره من خلال دراسة المصادر الثقافية أن بعض جوانب هذا العقل اللاواعی مشتركة بين جميع البشر. اعتبر فرويد أن النفس لديها هذه الطبقات الثلاث،"العقل اللاواعی، "ضمير ما قبل الوعی" و"العقل اللاواعی". يعتقد يونغ أيضا أن هناک ثلاث نفسية للبشر. وبحذفه لـ"ضمير ما قبل الوعی"، كان يؤمن بمكوّن آخر يسمى "الضمير اللاواعی الجماعی" فی بنية العقل البشری.» (پاينده، ١٣٩٩ش: ٣١٠) تم تخزين الذكريات القديمة والعرقية للبشرية ونقلها فی العقل اللاواعی الجماعی عبر أجيال عديدة من البشر البدائيين إلى البشر المعاصرين وتظهر فی شكل الأساطير والنماذج البدائية والطقوس الجماعية للبشر. وكمثال، يمكننا أن نذكر أسطورة الخلق، وأسطورة نهاية العالم، ونموذج الظل الأصلی.

الظل

«يشكل "الظل" الجزء الخفی من شخصية الإنسان والذی يعتبر فی سيكولوجية يونغ اللاوعی العرقی أو الجماعی، وهو فی الأساس الجزء الداخلی والمخفی ونصف المظلم من الشخصية وهو غير متوافق مع العقل الواعی. يقول يونغ: الظل مخفی ومكبوت بسبب أنه أعمق جزء فی الشخصية وأكثره ذنباً، وتصل جذوره حتى إلى عالم حياة أسلافنا

1. Carl Gustav Jung

من الحيوانات، وبالتالى فهو يشمل جميع جوانب اللاوعى التاريخى. الظل هو مصدر كل الذنوب والمعاصى والجزء المسؤول عن الخطيئات والذنوب. اللاوعى الإنسانى هو ظله، والجزء المظلم من اللاوعى والجزء العميق وطبقته الكريهة التى نريد سحقها وتشويهها ..... فى أدبنا الصوفى، يشار إليه على أنه شيطان النفس» (شميسا، ١٣٨٣ش: ٧١-٧٣)، بمعنى آخر، وفقاً لـ رأى يونغ «الظل هو كل الأشياء التى نخجل منها. كل الأشياء التى لا نريد أن نعرفها عن أنفسنا. لذلك، كلما كان المجتمع الذى نعيش فيه أكثر تعصباً وتقييداً، كلما اتسع ظلنا على أثره.» (فرودهام، ١٣٤٦ش: ٩٣)

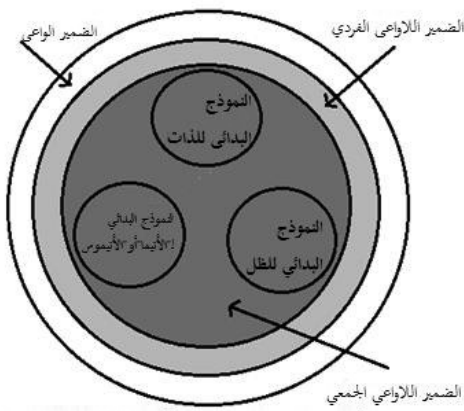

الشكل ١- بنية نفسية الإنسان وفقاً لنظرية يونغ التحليلية النفسية

الأسطورة

«الأسطورة فعل مشتق من الكلمة اليونانية هيستوريا[1] والتى تعنى "البحث والمعرفة والقصة". للتعبير عن مفهوم الأسطورة فى اللغات الأروبية، يتم استخدام بقايا الكلمة اليونانية ميتوث[2] وباللغة الإنجليزية ميث[3]، والتى تعنى "الوصف والأخبار والقصة"... يجب اعتبار الأسطورة قصة أو تدوين أحداث (ما وراء العالم المادى) التى يكون أصلها غير معروف عادة وهو وصف لعمل أو معتقد أو مؤسسة أو ظاهرة طبيعية فى شكل الماورائى، على الأقل جزء منها مأخوذ من التقاليد و ترتبط بالروايات والطقوس والمعتقدات الدينية ارتباطاً وثيقاً، ففى الأسطورة تُروى الأحداث المتعلقة بالعصور الأولى.» (آموزگار، ١٣٩٧ش: ٣-٤)

وفقاً لتعريف الأسطورة، كان يونغ يعتقد أن الأحلام والقيم والمخاوف والمثل العليا

1. historyia
2. Mytose
3. Myth

لكل شـعب وأمة تروی من خلال أساطيرها. الأسـطورة هی التعبير العلنی عن أعمق التجارب النفسية للإنسان. (پاينده، ١٣٩٩ش: ٣١٤)

البحث والدراسة

وفقاً لوجهة نظر يونغ، من أجل تشكيل عملية التفرد، يجب على الشخص أن يسيطر على عقله اللاواعی كالعقل الواعی تماماً، و تكون عناصر شـخصية الفرد متكاملة. فی الواقع، يتحد العقل الواعی والمدرک للعالم المحيط مع العقل اللاواعی المنبوذ إلی الوراء. «إذا أردنا تفسـير الرسـالة التی تعرض لنا رمزاً من اللاوعی، فـإن المعرفة التاريخية للرمزيـة الدينية، وكذلک معرفة الفلسـفة والتعبير عن الأسـطورة، أمور ضرورية. فی عملية الفردانية أو التفرد، تتمثل الرموز المهمة الرئيسـة فی إظهار مكاشـفة الإنسـان ومشـاهدته لعلاقته بالعالم والإلـه.» (مورينـو، ١٣٩٧ش: ٤١) إن طريقة الوصول إلی نظرة يونغ هذه فی فكر الشـاعر هی فی معرفة "الذات" ولهذا يصور العالم بصورة جميلة من خلال نظرة الإنسـان. ويذكر المكانة النبيلة للإنسـان بأنه أشرف المخلوقات والعالم بدونه لا معنی له وغير مكتمل، فهو يسـعی فی ديوانه إلی إقامة العلاقة بين الإنسـان والكون والإله من خلال تذكر المشـاهدة، وهو ما يتوافق تماماً مع وجهات نظر "يونغ" و"مورينو"[1]:

اين جهان چيست؟ صنمخانهی پندار من است
جلـوه ی او گـروی ديدهـی بيدار من اسـت
همـه آفـاق كـه گـيرم بـه نگاهـی او را
حلقهای هسـت كه از گردش پرگار من اسـت
هسـتی و نيسـتی از ديـدن و ناديـدن مـن
چه زمان و چه مكان، شـوخی افكار من است
از فسون كاری دل، سير و سكون، غيب و حضور
اين كه غماز و گشـايندهی اسـرار من اسـت

1. Moreno, Antonio

آن جهانـی کـه در او کاشـته را می‌درونـد
نـور و نارش همه از سـبحه و زنار من اسـت
سـاز تقدیـرم و صـد نغمهـی پنهـان دارم
هر کجا زخمهی اندیشـه رسـد تار من اسـت
ای من از فیض تو پاینده نشـان تو کجاسـت
ایـن دو گیتی اثر ماسـت جهان تو کجاسـت
(إقبال، ١٣٩٠ش: ١٩٧)

– ما هذا العالم سـوی معبد أصنام تصورها مخیلتی ولا یتحقق تجلیه إلا فی نظرتی الواعیة.

– کل الآفاق التی أنظر إلیها هی عبارة عن دائرة یرسمها فرجاری.

– إن الوجـود وعدم الوجود مـن رؤیتی أو عدم رؤیتی، بغض النظر عن الزمان أو المکان، هو عبارة عن مزحة تنتجها أفکاری.

– من حیلة القلب السـیر والسـلوک والسـکون، والغیب والحضور وهو کاشـف أسراری وفاضح أمری.

– فی ذلک العالم الذی یحصدون فیه ما زرعوه، إنما نوره وناره من مسبحتی وزناری.

– أنا مَن مصیره بیدی ولدی مئات الأسـرار کالأنغام مسـتورة وأی مضراب فکرة هی من وتری.

– أین أنت یا من أنا من وجوده دائم، هذان العالمان من آثارنا فأین عالمک أنت؟

فی المقطع الأول، اسـتخدم الشـاعر الإضافة التشـبیهیة "صنمخانـه پندار" (معبد المخیلة) وکلمة "پندار" بمعنی الخیال ترتبط عادةً باللاوعی، وفی المقطع الثانی من نفس البیت التی اسـتخدمها بتعبیر "النظرة الواعیة" فهـی مرتبطة بالعقل الواعی. فی المقطع الثانی، یستحضر مفهوم أن العالم الکبیر یدور حول نقطة الفرجار الذی یمثل عالم وجودی الصغیر، وبعبارة أخری، أنا الإنسان، أمثل المحور الوجودی للخلق. وفی الأبیات التالیة، یظهر أیضاً الغیب والحضور، وهو رمز العقل الواعی واللاواعی، ویعتبرهما مظهرین من مظاهر القلب السـاحر الذی یسـطر علی کل شیء بما فی ذلک الغیب والحضور. تشیر

المئات من الأنغـام المخفية إلى الطبقات المخفية للاوعى االفـردى، والتى أينما تغلغلَ الفكر حتى فى أكثر الطبقات الخفية فى شخصيتى، فأنا المدرِكُ ما زلت حاضراً، وكتعبير عن سيطرة "الذات"، فإنه يتحدث عن اللاوعى الفردى.

من وجهة نظر إقبال وسهروردى، حقق البشر من بين الكائنات الحية أعلى مستوى مـن الفرديـة (معرفة الذات) وهو أكثر معرفة بحقيقة نفسـه بالنسـبة لجميع المخلوقات الأخـرى، وهذا يرجع إلى معرفة ذاتـه وعلمه بذاته وجوهره. (بقايى، ١٣٨٥ش: ٩٢-٩٣) فى جاويدنامة، يذكر إقبال فى أبيات أن معرفة الإنسان لنفسه، وهى معرفة الذات، هى مقدمة لمعرفة الخالق، وهو ما يتوافق مع عملية التفرد عند يونغ، والنتيجة هى تحقيق الوحدة:

شـاهد اول، شـعور خويشتن　　خويشتن را ديدن به نور خويشتن
شـاهد ثانى، شـعور ديگرى　　خويشتن را ديدن به نور ديگرى
شـاهد ثالث، شعور ذات حق　　خويشتن را ديدن به نور ذات حق

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٣٥٢)

- الشاهد الأول هو الوعى بالذات، رؤية الذات فى نور الذات.
- الشاهد الثانى هو وعى آخر يرى نفسه فى نور الآخرين.
- الشـاهد الثالث هو الوعى بذات الحق (جوهـر الحقيقية) ورؤية ذات المرء بنور ذات الحق.

لا يمكن السير والسلوك فى العالم الداخلى من تلقاء نفسه، ويتطلب ذلك الحضور. الخطـوة الأولى فى معرفة الذات هى أن تكون فى حضور الشـيخ العارف أو المرشـد (النموذج الأصلى للشيخ العارف) فى الواقع، «التفرد هو سلوك خطير، وهذه الخطورة تأتـى من قوة النمـوذج الأولى، خاصة عندمـا يفترض أن يتم اسـتيعابه فى الوعى. عندما نتعامل مع اللاوعى، يجب أن نأخذ بشـدة جانب الحيطة والحذر، لأن الوعى مثل حقل خصب معرّض للفيضان الهائج يسـبّبه سـد مكسور، وإذا كان الوعى ضعيفاً، فإن اللاوعـى يبتلع الأنا (الـذات)[1] وينتج عنه تورم مرضى. وهو أمـر خطير جداً ...يقول

1. Ego

يونغ إن هذا هو السبب فی أن ساحر القبلية كان دائماً كاهناً، لأنه ليس منقذ الروح فحسب، بل منقذ الجسد أيضاً، والأديان هی فی الواقع أنظمة لعلاج الأمراض العقلية.» (مورينو،١٣٩٧ش: ٣٧-٣٨) يجب على الشخص الذی يخاطبه الشاعر أن يتعرف على نماذج الظل والأنيما والأنيموس بداخله بتوجيه من ذلک المرشد من أجل تحقيق المعرفة المنشودة عن ذاته. ومن أجل أن يسير فی هذا الطريق، أصغی إقبال إلى كلمات وإرشادات الشيخ العارف (المرشد) ومريده محمد الرومی، وقد استكشف الظلال فی داخله وتعرف عليها واحداً تلو الآخر بل وتجاوزها. الإنسان المعاصر أيضاً، لا يمكن السلوک فی هذا الطريق دون دعم من الشيخ العارف، يقول الشاعر حافظ الشيرازی:

قطع این مرحله بی همرهی خضر مکن ظلماتست بترس از خطر گمراهی

(حافظ، ١٣٩٥ش: ٤٨٩)

- لا تسلک هذا الطريق وحيداً دون مرافقة الخضر (المرشد)، فهناک ظلمات وعليک أن تخاف من خطر الضلال.

فی جاويدنامه، وصل إقبال برفقة المرشد البلخی، إلى كوكب الزهرة حيث تجمع الآلهة القديمة، وفی الواقع، الآلهة القديمة هی نفس الأصنام التی كسرها النبی إبراهيم (عليه السلام)، وفی نقد يونغ النموذجی، هذه الأصنام هی نفس الشخصيات المظلمة والشريرة فی النفس والتی تفصل الناس عن النور وتأسرهم عند الطاغوت (الشيطان) وتعرّضهم للفساد والدمار. يشير إقبال إلى سحر الغرب والأصنام المعاصرة بإحضاره رمز "زمن بدون خليل" و "يعيش المستشرق" على لسان الصنم بعل:

رومی از احوال جان من خبير گفت: می‌خواهی دگر عالم بگير

عشقِ شاطر ما به دستش مهرهايم پيش بنگر در سواد زهرهايم...

با نگاه پرده سوز و پرده در از درون ميغ و ماغ او گذر

اندرو بينی خدايان كهن می‌شناسم من همه را تن به تن

بعل و مردوخ و يعوق و نسر و فسر رم‌خن ولات ومنات وعسر وغسر

بر قيام خويش می‌آرد دليل از مزاج "اين زمان بی خليل"...

آدم اين نيلی تتق را بر درید آن سوی گردون خدايی را ندید...

زنده باد "افرنگی مشرق شناس" آنکه ما را از لحد بیرون کشید...
اهرمن را زنده کرد افسون غرب روز یزدان زرد رو از بیم شب
(إقبال، ۱۳۹۰ش: ۳۸۵-۳۸۷)

- قال الرومی وهو یعلم بحالی: هل ترید أن تأخذ عالما آخر.
- نحن جوهرة فی ید الحب الذکی، تطلع إلی معرفتنا بسواد الزهرة.
- بنظرة ثاقبة تجاوز الطریق من بین سحابه وغیومه.
- تری فی وجوده، الآلهة القدیمة، وأعرفهم جمیعاً واحداً تلو الآخر.
- وهی بعل ومردوخ ویعوق ونسر وفسر، رم خن ولات ومنات وعسر وغسر...
- ویأتی بحجة لقیامه من ظروف "زمن بلا خلیل"...
- وقد خرق آدم السماء الزرقاء ولم یر الجانب الآخر من السماء الإلهی..
- عاش "المستشرق" الذی أخرجنا من اللحد ...
- إن سحر الغرب ومکره أحیا الشیطان، ویوم الإله شاحب اللون من فزع اللیل.

فی الواقع، «یمثل الظل فی الأحلام شخصاً متدنیاً وبسیطًا للغایة، شخصاً بصفات غیر مرغوب فیها أو شخصاً غیر محبوب.» (فرودهام، ۱۳٤٦ش: ۹۳) وقد صوّر إقبال هذا المخلوق غیر المحبوب فی قصائده بتعابیر وکلمات تحدّث فیها عن مخلوقات شریرة وخبیثة مثل الشیطان والعفریت، إلخ.

وفقاً لمعتقدات الفرس، فإن أهورا مزدا هو إله صالح فی الأفستا، وفی مقابله، الحکمة الخبیثة أو أهریمن. هذه الکلمة، جاء بالفارسیة کأصل الشر والقبح، بأسماء مختلفة: الأهریمن، أهرمن، هرمن، آهرمن، أهرن، آهرامن وهریمه والخ. (یاحقی، ۱۳۹۸ش: ۱۷۵-۱۷٦) خلال دراستنا لدیوان العلامة إقبال اللاهوری، لاحظنا أن المخلوقات الشریرة التی هی رمز للعقل اللاواعی والنصف المظلم من عقل الإنسان، تتفق مع الألقاب الأسطوریة وقد استخدام إقبال الأهریمن (الشیطان) وإبلیس وما إلی ذلک کثیراً.

الأهریمن (مظهر الشر والفساد)

الأهریمن فی الفارسیة الوسطی هو ahrēman وفی "الأفستا" هو aŋra.mainyu. تعنی

الأهريمن الروح المقاتلة والعدو. وهو رئيس الديوان وكبيرها وأكبر عدو لأورمزد. فى الأفستا المتأخرة هو "ديوان الشيطان" ... عالمه مظلم، وهو خالق كل ما هو عدو لخلق هورمزد. يخلق الضحاك وينقل المرض للناس. الجهل والضرر والاضطراب هى من خصائص الأهريمن (الشيطان). ويخلق الأهريمن الموت، وبدلاً من الصحة، يخلق المرض، وبدلاً من الجمال، يخلق القبح. كل أمراض الناس سببها الشيطان. (قلى زاده، ١٣٩٢ش: ١٠٥) لأنه يأتى من معنى الأهريمن (الحكمة الخبيثة)، فهو تجسيد لجميع الصفات السيئة وكل اعوجاج ونقص. وهذا المخلوق الخبيث هو نقيض الحكمة الصالحة أو المقدسة. الآن، فى ظل تحليل قصائد إقبال ونقدها، يجب اتباع الخصائص المذكورة بدقة. حيث تحدّث هذا المفكّر المقتدر عن طبيعة الشيطان وإغوائه فى عدة أبيات، بل وصوّر المحادثة بين الشيطان وزردشت على لسان الشيطان:

از تو مخلوقات من نالان چو نی — از تو ما را فروردین مانند دی
در جهان خوار و زبونم کردهای — نقش خودرنگین زخونم کردهای...
تکیه بر میثاق یزدان ابلهی ست — بر مرادش راه رفتن گمرهی است
زهرها در باده گلفام اوست — اره و کرم و صلیب انعام اوست
جز دعاها نوح تدبیری نداشت — حرف آن بیچاره تاثیری نداشت...
تا نبوت از ولایت کمتر است — عشق را پیغمبری دردسر است

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٣٦٦)

– بسببک مخلوقاتی متذمّرة وشاكية كالناى، وبسببک تساوت الأيام عندنا فى الشتاء (دى) والربيع (فروردين).

– لقد أهنتمونى وأذلتمونى فى العالم ولوّنتم دوركم من دمى...

– الثقة بعهد الإله أمر سخيف وغباء والسير فى خطى مراده تضليل وافتراء.

– السموم فى خمره الملوّن، ومكافئته هو المنشار والدودة والصليب.

– لم يكن لنوح حيلة غير الدعاء، ولم يكن لكلمات الرجل المسكين أى تأثير ...

– ما دامت النبوة أقل مقاماً من الولاية فالمحبة ستسبّب المتاعب لكل نبى لا محالة.

وفقاً للأبيات السابقة، يبدأ الشيطان الحديث مع زردشت ويختبره من أجل ثنيه

عــن هداية البشــر نحو أهورا مزدا (الإله)، وإطاعتهم لــه، بحيث يقلّل من أهمية قصص الأنبيــاء ويجعلها فى مســتوى المناشــير والديدان والصليب: وهذا يــدل على نوع من الحرب النفســية والصراع بين الخير والشــر. فى الواقع إن الشک والترديد والتناقض هى من تكتيكات الشــيطان. ورد فى كتاب فنديــدا – أقدم كتاب قانون إيرانى – عن ســبب تدمير أرض نيســاية (جزء من أرض البارثيين): « نشــر الشــيطان القاتل فيها (تلک الأرض) وباء الشــک والترديد.» (نورى، ١٣٩٨ش: ٢٨) التناقضات المزدوجة والتضاد لها حضور قوى فى القصيدة والأسطورة وستساعد بشكل كبير فى فهم القارئ للمحتوى. فى الأبيات السابقة، نواجه أيضاً مفاهيم ثانوية مثل إغواء الشيطان وعجزه أمام الخير والحقيقة والمحبة والنبوة والعودة إلى الفطرة. ومن ناحية أخرى، فإن التناقض بين زردشــت والشــيطان، هو نفس التناقــض بين الخير والشــر والتناقض بين التقوى والإغواء، وهو مــا يعبّر عنه بكلمات متضادة (فروردين ودى)، أى بقاء واســتمرارية حقيقة المــوت وحقارة الباطل والخ. (خلــج، ١٣٩٧ش: ٨٧) وفقاً لنظرية يونغ والمعنى الثانوى للأبيات، يمكن رؤية الشــيطان وإغوائه فى "الظل" وباطن الإنســان، مما يقوده إلــى الباطل والابتعاد عن طريق الهداية، كما أن الشــيطان رمز للظلام والجهل والعقل اللاواعى، وعلى العكس مــن أهورامزدا، فهو النور والإدراک والعقل الواعى. فى كل لحظة، يؤثر الشــيطان فى شخصية وسلوک الإنسان من خلال ظله الداخلى. ويلى هذا الحوار، حوارٌ آخر يجريه هذه المرة إقبال على لســان زردشــت مع الشــيطان، ويصور الدور الواضح غير الملوّن للإنســان ويرى أن ذلک إنما يتحقق بتدمير الشيطان وإبادته ويرى طريقة إنقاذ البشر وخلاصه إنما يتحقق بمحاربة الظلمات:

نوردریای است وظلمت ساحلش　　هم چو من سیلی نزاد اندر دلش...
نقش بی رنگی که او را کس ندید　　جز به خون اهرمن نتوان کشید
خویشتن را وانمودن زندگی است　　ضرب خود را آزمودن زندگی است

(اقبال، ١٣٩٠ش: ٣٦٦)

– نور البحر وظلام الشاطئ، مثلى أنا لا يمكن صفعه فى قلبه.
– لا يمكن رسم الصورة الواضحة غير الملوّنة إلا بهدر دم الشيطان.

– تظاهر بنفسک حتی تعیش واختبار النفس بالضرر هو سنة الحیاة.

إبلیس

لفظة إبلیس مقتبسة من الکلمة الیونانیة دیابولوس[1]. لکن مؤلفی المعاجم العربیة أخذوها من أصل "الأبالیس" التی تعنی الیأس. (یاحقی، ١٣٩٨ش: ٧٧) فقد أشیر فی أساطیر ومعتقدات إیران القدیمة، إلی خلق إبلیس والمخلوقات الشیطانیة بشکل عام، والمخلوقات الشیطانیة هی«خلق شیطانی، مخلوقة من جسم یشبه الوزغ، رمادی ردیء، لا یحبّها الإله وهی منفورة (أورمزد) وتزعج راحة الخلق ولدیها دین سحری.» (بهار، ١٣٩١ش: ١٦٤) والمقصود من الدین السحری فی الجملة الأخیرة هو عمل السحر وتقالیده. إقبال أیضا له قصیدة فی "جاویدنامه" بعنوان"نمودار شدن خواجه اهل فراق ابلیس" (ظهور إبلیس صاحب الفراق) یصف فیها جسد إبلیس القاتم واللئیم:

ناگهان دیدم جهان تاریک شد　　ازمکان تا لامکان تاریک شد
اندرآن شب شعله‌ای آمد پدید　　از درونش پیر مردی برجهید
یک قبای سرمهای اندر برش　　غرق اندر دود پیچان پیکرش

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٤٠٨)

– فجأة رأیت أن العالم أصبح مظلماً من کل مکان إلی لا مکان.
– فی تلک اللیلة ظهر قبس من النار ملتهب وخرج منها رجل عجوز.
– کان یرتدی رداءاً أزرقَ داکناً یغرق فی دخان جسده الملتوی.

جاء إبلیس فی القرآن الکریم، بمدلولات متعددة کالمستکبر والرجیم والمنبوذ والملعون (البقرة: ٣٠–٣٤، العمران: ٣٦، الأعراف: ١٢–١٥، الحجر: ١٧، ٣٤، إلخ.). استخدم الشاعر فی کتاب "رسالة المشرق" أسلوب السرد المتمثل فی توسیع المحتوی بأسلوب الحوار وقد أجری حواراً بین الشیطان والإله:

"نفی الإبلیس"

نوری نادان نیم، سجده به آدم برم　　او به نهاد است خاک، من به نژاد آذرم

1. Diabolos

می‌تپد از سوز من، خون رگ کائنات — من به دوُ صَرصَرم، من به غو تندرم...
پیکره انجـم زتو، گردش انجم ز من — جان به جهان اندرم، زندگی مضمرم
توبه‌بدن جان دهی،شوربه‌جان‌من‌دهم — تو به سکون رهزنی، من به تپش رهبرم
من ز تنک مایگان، گدیه نکردم سجود — قاهر بی دوزخم، داور بی محشـرم
آدم خاکی نهاد، دون نظر و کم سواد — زاد در آغوش تو، پیر شـود در برم

(المصدر نفسه: ۲۹۰)

– أنا لست بنور جاهل، کی أسجد لآدم إنه ینتمی إلی التراب، وأنا أنتمی إلی النار.
– ینبض من قلبی دم الکون، أنا بالنسبة إلیه إعصار، وصوتی کالرعد ...
– أنت خالق هیکل النجوم وأنا محرکها، حیاتی فی العالم خافیة غیر مرئیة.
– أنت تنفخ الروح فی الجسد، وأنا أمنحه الإحساس، منک السکون ومنی الخفقان.
– أنا لست بائساً عائلاً حتی أسجد، فأنا قاهر بلا جحیم وقاض بلاحدود.
– مخلوق ترابی دونی غیر متعلم، ولد بین ذراعیک، وسیشیخ بین ذراعی.

فی الأبیات السـابقة، بالإضافة إلی صناعة التلمیح والإشارة إلی القصص القرآنیة، یجلب إقبال تناقضات مزدوجة (تراب/ نار، الجسـم/ الروح، السـکون/ الخفقان، آدم من طین/ إبلیس من النار) وأیضاً نظریة الدلالة الضمنیة (لإنشاء مفهوم ثانوی)، یحاول الکشف عن شخصیة إبلیس.

فی هذه الأبیات، یسـتخدم إبلیس کلمة "تنک مایگان" (البائس الفقیر) مقابل قهره والأمر بالسـجود لآدم یعتبره نوعاً من التسـّول. هذا المحتوی یمکن النظر إلیه أیضاً من وجهة نظر "تلاقی الأضداد". فی الأبیات المتعلقة بأسطورة الخلق ووجود الشر والقوی الشـیطانیة، یحاول إقبال زیادة القوة الروحیة للإنسـان باستخدام "تلاقی الأضداد" أو "ولادة جدیدة". وبمساعدة هذا التناقض المزدوج بین العالم المادی والعالم العلوی، یروی جهود الشـیطان الذی یظهر فی شکل الناصح الحکیم، فی إغواء الإنسان للإشارة إلی ضعف الإنسان وخلقه من نطفة لا قیمة لها. عزز روح التبعیة الذاتیة فی قلب الإنسان، وبإغوائه إلی الخلود ورؤیة أرض جدیدة، تسـبب فی هبوط الإنسان. کما أن استخدام إقبال للمنظور العاطفی وتحفیز الحماسـة والحمیة للإنسان المعاصر مهمّ أیضاً ذلک لأنه

مــن أجل خلق اتحاد بين العقل الواعى والعقل الباطن (اللاواعى) وتنفيذ عملية التفرد، هناک عاملان مهمان للغاية، الأول هو الاهتمام بالجانب الأخلاقى والثانى هو الاهتمام بالعواطف البشــرية. ويحاول الشــاعر التغلب على الظل بداخله من خلال خلق وحدة أســطورية بين العقل اللاواعى للإنسان وأساطير الخلق، وأيضاً من خلال حمية الإنسان فى مواجهة إهانة الشيطان له.

إغواء آدم

کوثر و تسنیم بُرد، از تو نشاط عمل　　گیر ز مینای تاک، بادهی آیینه فام...
خیز که بنمایــت، مملکت تازهای　　چشم جهان بین گشا، بهر تماشا خرام
قطره بی مایهای، گوهر تابنده شو　　از سر گردون بیفت، گیر به دریا مقام

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٢٩١)

– إن التمســک بالوعود السماوية (الكوثر والتسنيم) يسلب الفرصة لتجربة مواهب هذا العالم، لذا فهو يدعو الإنسان للاستفادة من العوامل المحظورة فى الحياة (خذ المدامة الصافية كالمرآة من كرم السماء).

– قم وشاهد مملكة جديدة تفتح أعين العالم لأى متفرج فخور.

– أنت قطرة لا قيمة لها، عندما تهبط من السماء سيرتقى مقامک كالبحر.

جاء فى النصوص الزرادشتية، أن للإنسان، مثل عالم الخلق، ولادة مزدوجة، شكلية وروحية، وكل شــىء موجود فى العالم له جانبــان، سماوى ودنيوى. نقرأ فى "بُندهش": «قد احتفظ بخلق النعيم والجنة باعتباره عالماً علوياً وأنشــأ الخلق المادى (أيضاً أولاً) باســم العالم العلوى ثم قام بإنشائه مادياً.». (بهار، ١٣٩٧ش: ٩٧) أيضا، فى "الأفستا" نقرأ فى جزء "ويسپرد": «أبشركم للثناء، لــشريف وسيد سماوى وشريف مادى وعالمى، بشرى سارة لخيرة الحيوانات المائية، وخيرة الحيوانات فى القبو، و خيرة الطيور وجميع النفوس السامية الطاهرة منها..» (رضى، ١٣٩٦ش: ٣٠٤)

وهــذه العودة إلــى أصل الفطرة (الحالة الروحانية) أو الــولادة الجديدة تؤدى إلى تعزيــز "الــذات" أو العقل الواعى وتجعلهــا تهيمن على العقل اللاواعى أو الشــخصية

الداخلية لأن «الاتحاد مع الزمن الأزلی يمنح الشخص قوة روحانية هدفها ولادة رمزية جديـدة.» (إليادة، ۱۳۸۸ش: ۸۲)) فی هذه الأبيات، يشـير المعنی الثانوی لـ"قطرة لا قيمة لها" إلی خلق الإنسـان من حيوان منـوی لا قيمة له، الذی يمتلک القدرة علی أن يصبـح جوهرة لامعة وإنسـاناً مثالياً فی حضور البارئ تعالـی. بنهج إيجابی للمفاهيم الثابتة والأبدية أی خلق الحالة الروحانية أو الفطرة، يلفت العلامة إقبال انتباه الإنسان المعاصر واهتمامه إلی قضية الخلق الهامّة، وبكشـف العدو اللدود للإنسـان، فإنه يجعل الإنسـان يدرک رغباته الداخلية والحسـية. بمسـاعدة هذه الرمـوز وتركيبها وإعادة تصويرها، يرسـم الطريق إلی الفردية. كتب قصائد مثل "بگو ابليس را" (أخبر إبليس). (إقبـال، ۱۳۹۰ش: ۵۳۵) و"ابليـس خاكی و ابليس غاری" (إبليـس ترابی وإبليس كهفـی). (المصدر نفسـه: ۵۳٦) وهی قصائـد تذكّر القارئ بقصة الخلق الأسـطورية. النقطة الجديرة بالملاحظة هی أن كلمتَی إبليس والشـيطان لهما شـخصيات منفصلة فی معظم الحالات. إقبال بمعرفته للفلسـفة، يعرف جيداً أنه من منظور الفلسفة، فإن شيطان النصوص الفارسـية القديمة يختلف عن شـيطان الفترة الإسلامية، بل شيطان النصوص القديمة، هو توأم أهورا مزدا، ولكن الشـيطان فی القرآن والنصوص الإسلامية، فهو من مخلوقـات الله وخلقه. «يمثّل إبليس إقبال أحياناً الغربيين وغطرسـتهم علی الشـرقيين، وأحياناً يكون تجسـيداً للمسلمين العاصين والغافلين الذين يتفاخرون بعرقهم وقوميتهم أكثر من أی شیء آخر.» (مشهور، ۱۳۹۰ش: ۱٤٤)

يعتـبر إقبال الغرب كرمز لأعمی القلب والبصيرة وعبد الشـيطان ويعدّه أحد جنود الشيطان.

فرنگـی را دلی زير نگين نيسـت　　متاع او همه ملک است و دين نيست
خداوندی كـه در طوف حريمش　　صدابليس است ويک روح الامين نيست

(إقبال، ۱۳۹۰ش: ۵٤۲)

– الإفرنجی ليس جوهرة فی القلب، كل ممتلكاته ملكية وليست دينية.
– رب يطوفه مئة إبليس وليس فی طوافه روح الأمين.

يستخدم الشاعر الشيطان بكثرة فی ديوانه.

الشيطان

فى النصوص القديمة، يعدّ الشـيطان رمزاً للشر وله العديد من الحلفاء والقوى التى يمثلها إبليس على الأرض. والشـيطان أو الشـياطين هم مخلوقـات تحت قيادة إبليس، هدفهم تدمير جميع مخلوقات أهورا مزدا.

«أسطورة الشيطان مرتبطة بأسطورة التنين والثعبان والغول ورمزية للمزلاج والحجر الصحى ... الشيطان هو رمز كل قوى الوعى المزعجة والمظلمة والمضعفة لقوة الإدراك؛ الشيطان هو التورّط فى الغموض وعدم اليقين.» (شواليه، ١٣٨٥ش: ١٢١-١٢٣)

مـن وجهة نظر علم النفس، يمكن أن يكون الشـيطان رمزاً للظلام والاضطراب فى العالم المظلم داخل الإنسـان بحيث إن «السـواد والظلام هما رمزان للأسرار والمجهول والموت واللاوعى والنسـيان والسقوط.» على وجه التحديد يرتبط المبدأ الأنثوى، أى الأنيما واللاوعى بالظلام بسـبب الغموض والمجهول، وفـى المقابل يرتبط مبدأ المذكر -واعى الذات- بالنور.» (شميسا، ١٣٨٣ش: ٧٨)

ينتبه الشاعر فى ديوانه إلى أن دخول الأفكار الشريرة وعدم سيطرة الإنسان على نفسـه، يجره أحياناً إلى متاهات تؤدى به إلى الـزوال والهلاك فتنهض فى وجوده كل الرغبـات الرخيصة والمنحطة فيكون مسـتعداً لتحقيقها بأى ثمـن. عملياً، ينتصر "ظله" على وجوده بالكامل ولا يترك مكاناً لوجود النور والحقيقة فى قلبه وروحه، وفى هذه الحالة يصبح الإنسـان نفسه شـيطاناً أرضياً وفى نفس الوقت حقيراً، الظل فى قصائد إقبال هو سـلبى تماماً وليس له وظيفة إيجابية. يعتبر إقبال أن "النموذج الأصلى للظل" يكمـن فى العالم المادى للغرب وفى العالم الداخلى للإنسـان يتمثل فى اتباع الأفكار الغربية وتقليدها. إنه يعتقد أن السبيل إلى الخلاص من الشيطان وإبليس، هو اتباع عقل يطيع قلب الإنسان الصافى وطبيعته.

عقل اندر حكم دل يزدانى است چون ز دل آزاد شد شيطانى است

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٤٦٨)

- العقل عندما يكون تحت سـيطرة القلب، يكون روحانياً وإذا ترك القلب، أصبح شريراً.

«غالباً ما يتطلب الوقوف فی وجه مطالب العقل اللاواعی الكثير من الوقت والصبر والقوة الأخلاقية، وهنا نری مدی التطور البشـری الذی يمثّـل قضية اخلاقية ... يقول يونغ إن المجال الحيوی للدين يعتمد علی المجال الحيوی لرموزها.

عندمـا نری كيـف تفقد الصين (ومن ثم الهنـد) ثقافتها القديمة تحـت التأثير القوی للعقلانية المادية، أخشـی أن يعانی الغرب المسـيحی أيضاً من نفس المرض، وهذا لأن الناس فقدوا اللغة الرمزية للغة الماضی، فهم لا يفهمون ولا يعرفون أين وكيف يطبقونه. ويدخل الله قلب الإنسان من خلال الرموز. (مورينو، ۱۳۹۷ش: ۴۲)

تجدر الإشـارة إلی أن سر النجاح فی العزلة الذی يتحدّث عنه إقبال ليس العقلانية الماديـة أو العقلانيـة الاقتصادية (القدرة علی التخطيط للحيـاة) ، ولكن معنی عقلانية القيامـة (القـدرة علی التخطيط للحيـاة الآخرة). من خلال التفكـير فی الجمل أعلاه وتركيز يونغ علی الاهتمام بنسيان الرموز بين المجتمعات المسيحية، ندرک مدی اهتمام إقبال بهذا المرض الشـامل المهـم. يصبح هذا المفكّر العظيم، فی ظـل التعاليم الدينية وآيات القرآن الكريم، مرشداً للإنسان اليائس المعاصر، تماماً مثل مرشده (الرومی).

بعد الشيطان، جاءت كلمة "الثعبان" علی نطاق واسع فی ديوان إقبال.

التنين

التنين لغة «ثعبان كبير، أفعی ضخمة ذات فم مفتوح واسـع والعرب يسمونه الثعبان .. حيوان أسطوری علی شكل سحلية ضخمة ذات ريشتين، تبصق ناراً من فمها وتختبئ وتحرس الكنوز تحت الأرض» (دهخدا، ۱۳۲۸ش: ۲۰۰-۲۰۱) فی الأساطير الإيرانية التی كتبت بناءً علی نصوص الفترة البهلوية، تم تقديم التنين باعتباره مخلوقاً أسـطورياً شـريراً أنشأه الأهريمن إلی جانب الثعابين والعقارب والسحالی والسلاحف والضفادع، وهو من جملة الحيوانات اللاذعة والسـامة. (قلی زاده، ۱۳۹۲ش: ۷۳) يعتبر إقبال أن الإنسـان الذی يعبد الشيطان ولا يبالی بهدف الخلق، وهو مطيع للشيطان، سيكون مثل تنين يسعی وراء الشر والسوء.

آبـروی زندگـی در باختـه چون خران باكاه وجو در ساخته...

شوره بوم از نیش کژدم خار خار　　مور او اژدر گز و عقرب شکار
صرصر او آتش دوزخ نژاد　　زورق ابلیس را باد مراد
(إقبال، ١٣٩٠ش: ٢٥٤)

– فقدت سمعة الحياة، مثل الحظيرة مبنية بالقش والشعير ...

– جلد البومة تحولت إلى أشواك شائكة من لدغة العقرب ونمله كالثعبان يلدغ وكالعقرب يصيد.

– عاصفته من نار جهنم والريح بحاجة لزورق إبليس.

يتميز الظل بـ"ما لا يريد الشخص معرفته عن نفسه، مثل الخصائص الشخصية المنحطة أو الميول الأخرى غير المرغوب فيها. يظهر الظل فى الأحلام، كرمز مثل الثعبان الأسود. (مورينو، ١٣٩٧ش: ٤٤–٤٥) استخدم إقبال كلمة التنين والثعبان فى دور الظل أكثر من عشر مرات. يعتبر الإنسان الشرير أسوأ من التنين لأنه باتباع نصفه المظلم الجاهل يطيع الشهوات النفسانية والأفكار المنبوذة، فيقتصر نطاق رغباته كالماشية، على الحاجات الأساسية من الطعام والشراب والنوم.

«فى عملية التفرد، يتمتع كل من الواعى واللاواعى بحقوق متساوية.» (مورينو، ١٣٩٧ش: ٩٨) يتحدث إقبال أيضاً عن تعارضات مزدوجة بنفس الطريقة ويعتبر عملياً أن العقل الواعى واللاواعى متساويان، وبهذا النهج، يبذل جهداً جديرا بالثناء نحو الوحدة ويشير إلى مدى خطورة توسع العقل اللاواعى. والمخلوق الشيطانى الآخر فى شعر إقبال هو العفريت.

العفريت

«يسمّى العفريت فى الأفستا دَئِو[1] والهندى القديم يسمى ديوا[2] (اللغة الفارسية الوسطى ديو[3])، والتى تعنى الإله ... ولكن بعد ظهور زردشت وتقديم أهورا مزدا، أصبحت تسمّى الآلهة القديمة (ديوان) المضللين والشياطين ... تعتبر الديوان فى الأفستا

1. daeva
2. dev
3. v d

الآلهــة الزائفة أو مجموعة من الشــياطين أو الناس المشــركين والمفســدين.» (ياحقى، ١٣٩٤ش: ٣٧١)

«أفظــع "ديــوان" (العفاريت) هى الشــياطين التى تتعلق بالموت وهى: اســتويداد، ويزريش، واى باد، نسوش، والفصل الثانى عشر من بندهش وهى مخصصة للعفاريت ... إنها تسبب الألم والشيخوخة والمعاناة والمرض، وكثير منها جاثية فى الأبدان ... وصوت بعض الحيوانات، وخاصة الحيوانات الروحانية مثل الديوک والكلاب والخيول، تتسبب فى هروب الشــياطين والســحرة والجنيات، حتى صوت حوافر الخيول تجعلها تهرب.» (قلى زاده، ١٣٩٢ش: ٢٧)

العلامة إقبال اللاهورى فى كتابه "رموز بيخودى" (رموز الفناء) يتحدث عن وجود الشــياطين والجنيات فى الفكر البشرى ويعتقد أن الإنســان أسير الشكوک والأوهام وهو أســير لشيطان أفكاره وبمساعدة النبى والإله بإمكانه أن يحرر نفسه من براثن هذه المخلوقات الشــريرة .. وهذا هو تصورنا للطابع الســلبى للداخل أو الأنا، الذى يوضع فى النموذج الأصلى للظل.

منزل ديو و پرى انديشه‌اش ازگمان خودرميدن پيشه‌اش

(إقبال، ١٣٩٠ش: ١٤٢)

أفكاره بيت الشيطان والجنى ومهنته الهروب من الشكوک والأوهام.

الشــياطين لونها أســود ومظهرها مرعب ومخيف وتظهر كأنهــا حيوانات ضارة مثل القرود والدببة والذئــاب والحيوانات الأخرى، ومن خصائصها المهمة العمل بالمقلوب. (صفارى، ١٣٩٦ش: ٨٣)) الشاعر يدين الرفقة مع العفاريت ويحذر الناس منها.

بزم با ديواست آدم را وبال رزم با ديواست آدم را مجال

(المصدر نفسه: ٤١٩)

الاحتفال مع الشياطين ويل، والقتال مع العفريت واجب على كل شخص.

«يعتبر إرنســت كاسيرير أن الإنسان مخلوق رمزى"ويتحدث يونج عن" قوة تصوير النفس البشرية". الرمزية متأصلة فى جميع الشعوب وجميع الثقافات ... كما أن اللاوعى يظهر دائماً فى شــكل رموز، وبمــا أن الفردية هى نظام حياة غــير عقلانية يتم التعبير

عنهـا من خلال رمـوز معينة، فإن معرفة هذه الرموز أمر ضـرورى لا محالة؛ ذلک لأن بمسـاعدتها، يتحقق الانسـجام والوحدة بين محتويات العقل الواعـى ومحتويات العقل اللاواعى. (مورينو، ١٣٩٧ش: ٣٩-٤٠)، يسـتخدم إقبال أيضاً الرموز الأسطورية فى تقديم أفكاره ويخلق اندماجاً ووحدة أسطورية للإنسان المعاصر. هذه الرموز الأسطورية تظهر أحياناً بشكل حيوانات برية وأحياناً كائنات شيطانية، مثل عفريت النوم و الكسل، عفريت الأكاذيب، وعفريت السحر، وما إلى ذلک التى يتحدّث عنها إقبال.

عفريت النوم والكسل

تم العثور على هذا العفريت فى الأفسـتا vaesta b وفى الفارسـية الوسطى sp b وهذا يعنى النوم والكسـل والحلم ... وبوشاسب هو "عفريت النوم والكسل" (صفارى، ١٣٩٦ش: ٢٠٣-٢٠٤) بحسب ديوان إقبال، فى معظم الحالات، "عفريت النوم الأنثى" تحتفظ بصورتها الشـيطانية وراء السحر والكسل ووضع الروح والطبيعة النقية فى نوم الغفلة وبهذه الطريقة تخلق المشـاكل فى طريق التنامى البشـرى ولا تزال على شـكل أسطورة:

چون به دریای او فرو رفتم　　کشتی عقل گشت طوفانی
خواب بر من دمید افسونی　　چشم بستم ز باقی و فانی

(إقبال، ١٣٩٠ش: ٣٣٤)

- عندما غرقت فى بحره، أصيبت سفينة العقل بالعاصفة.
- عصف بى النوم، وأغمضت عينى من كل شىء باقياً كان أم فانياً.

عفريت الكذب

يسخدم لفظ "دروغ" بمعنى الكذب فى الأفستا durogh (دروغ)، وبالفارسية القديمة، durogh (دروغ)، وفى الفارسية الزردشتية الوسطى، dro (درو) بمعنى الكذب. أصل هذه الكلمة "دروج" أو "دروج" يعنى الباطل والخداع. إنه أحد أعظم العفاريت الذى يأسر الإنسـان فى قبضته بسـبب الغضب. وقد وصف الكذب فى الأفستا، على أنه أسوأ سمة للإنسـان. (صفارى, ١٣٩٦ش: ٢١٣-٢١٤) فى عـدة حالات، تحدّث إقبال اللاهورى

باختصار عن الكذب ككيان زائف وشرير، وقد وظّف أصل الكراهية والخداع والكذب فى معنى الخوف واليأس والجنون، مما يجعل الشخص غير قادر على العيش:

لابه و مكارى و كين و دروغ اين همه ازخوف مى گيردفروغ

(إقبال، ١٣٩٠: ١٤٧)

– الأكاذيب والمكائد والأحقاد والأكاذيب كلها تنشأ من الخوف.

عفريت السحر

تظهر هذه الكلمة فى الأفستا باسم ta - y، فى الهندية القديمة tu- y (خيال وسحر)، وفى الفارسية الوسطى dg، وفى اللغة الفارسية الحديثة باسم جادو بمعنى السحر. الأفستا هو السحر بنفس المعنى كما هو عليه اليوم وقد تم إدانته بشدة واعتبر على أنه خطيئة كبيرة. وجاء فى الشاهنامه، إن السحر ليس فقط من عمل الشيطان والعفاريت، ولكن قد يلجأ البشر أيضاً إلى هذا العمل البغيض لتحقيق أهدافه.

فى عدة أبيات، ذكر العلامة إقبال السحر والشعوذة وأدواتهما، واعتبر أن العلم والمعرفة دون نور الهداية الإلهية فهو سحر:

اين تماشاخانه، سحر سامرى است علم بى روح القدس افسونگرى است

(المصدر نفسه، ٣٤٦)

– هذا المسرح هو سحر سامرى، العلم بدون الروح القدس هو سحر.

يسمى إقبال الشاعر الذى لا يتكلم عن الحق بالساحر الذى يسحر الناس بكلمات جميلة.

اى بسا شاعر كه از سحر هنر رهزن قلب است و ابليس نظر

(المصدر نفسه، ٣٦٣)

–كم من شاعر خطف قلوباً سحرها بفن سحره و ونظرته الشيطانية .

إذا لم توظف الإبداعات الفنة للإنسان فى طريق تعاليه وتفوقه ولم يتم استخدامها للسيطرة على الشخصية الداخلية والعقل الباطن، فستكون هذه الفنون والمواهب خطيرة جداً، وفى هذه الحالة يصبح الشخص مستعبداً للفن ومستعبدً لظله. «الشخص

الــذى أصبح عبــداً لظله يقف فى نوره المظلم و فى أى لحظة يســقط فى فخ نفســه.» (مورينو، ١٣٩٧ش: ٤٦) فى الواقع، يمكن للشــاعر أن يتصرف كســيف ذى حدين، إذا حقق الفردية يمكنه أن يجلب السعادة لنفسه ولأمته، وإذا لم ينجح فى معرفة نفسه وعقله الباطن وشخصيته المظلمة، سيدمّر نفسه ومجتمعه.

زافسون تودريا شعله زاراست هوا آتش گذار و زهردار است

(المصدر نفسه، ٢٩٥)

– بسحرک، البحر ملیء باللهیب، والهواء سام ومشتعل.

اســتخدم العلامة إقبال اللاهورى كلمة الســحر ٩ مرات ومرادفاتها، "افسون" ٣٤ مرة ، و"فســون" ٢٦ مرة ، و"افســونگر" بمعنى الســاحر ٣ مرات، و"جادو" (السحر) ٦ مرات، و"الطّلَسم" ٣٦ مرة و"دستان"، وهى مرادفة للسحر أيضاً، مرة واحدة. تظهر هذه الرموز المتكررة اهتمام الشاعر بالقوى الشيطانية والشر.

تا عصای لا اله الا الله داری به دست هر طلسم خوف را خواهی شکست

(المصدر نفسه: ١١٢)

– طالما أن لديک طاقة لا إله إلا الله، فسوف تكسر طلّسم الخوف مع كل تعويذة.

إن "القلب" هو مكان التجلى الإلهى، وإذا سكن الشيطان فى "القلب"، يصبح الإنسان أسيراً للشيطان، ويقترح إقبال طريقة كسر هذا الطلّسم بذكر "لا إله إلا الله". إن حضور القلب هذا، يقوى القوة الروحية والعقل الواعى. إنه يجعل الإنسان يتغلب على المخاوف والأفكار الســلبية. كما أن الاعتراف بالذنب والأســرار الخفية، هو ســبيل آخر لمعرفة الذات، وبمســاعدته ينقل الإنسان السر أو الســلوک غير الصحيح من العقل اللاواعى إلى العقل الواعى وينمّى نفســه، فالأديــان والمعتقدات القديمــة، باعتبارها مظهراً من مظاهر اللاوعى واللاوعى الجماعى، حررت الإنســان من شر ظله المكبوت وساعدته فى "معركة الخلاص" كى يتغلّب على ذلک الشرّ.

النتيجة

ترتبط قصائد وأعمال العلامة إقبال اللاهورى ارتباطًا وثيقاً بالقضايا الهامّة للروح

البشرية بسبب بصيرته الفكرية والفلسفية وتمسكّه بالمدرسة الإسلامية. ومن هذا المنطلق، فإنّ لها نقاطًا مهمّة ومشتركة مع نظرية يونغ النفسية. يعتقد كلاهما أن طريقة التغلّب على الأنا والظل والشخصية السلبية بالداخل، هى معرفة الذات من خلال الوصول إلى الفردية وبتذكر النماذج البدائية الأسطورية، فإنهما يرشدان الإنسان إلى بداية الوجود وأصله وهما يحييان الولادة الجديدة داخل الإنسان. وفقاً للموضوعات التى تمت مناقشتها، نجد أن العلاقة بين الأسطورة والنموذج الأصلى أو البدائى واللاوعى الجماعى، هى علاقة مستمرة وهى كلها ذكريات أجدادنا التى ورثناها عبر أجيال عديدة وهى مستودع لكل المخاوف والرغبات التى نحن غير مدركين لها وفى وقت الحاجة تسبب ردود فعل متساوية ومتشابهة فى المجتمعات المختلفة. إن الشاعر إقبال من خلال لعب دور المرشد الحكيم وباستخدام الرموز الشيطانية بذكاء، مثل الشيطان و إبليس، والعفريت وما إلى ذلك، بالإضافة إلى تذكيره لأسطورة الخلق، يكشف بأفضل طريقة ممكنة الظلام والمكان غير المألوف لعقل الإنسان وشخصيته السلبية الداخلية (الظل) ويجعله متفرّداً. نظراً لأن هذه المخلوقات الشريرة هى جزء من أساطير الأمم المختلفة، ونظراً لشموليتها واتساعها، فإن لها نفس الوظيفة بين جميع الأمم والمجتمعات، وبالنظر إلى طبيعة العقل اللاواعى الجماعى، يمكن الاستنتاج أن موقع هذه الرموز والنماذج البدائية متساوية فى طبيعة كل البشر.

المصادر والمراجع

الكتب

القرآن الكريم

اقبال لاهورى، محمد. (١٣٩٠ش). *كلّيات اشعار فارسى مولانا اقبال لاهورى* (المجموعة الشعرية للعلامة إقبال اللاهورى). ط ٩، طهران: سنايى للنشر.

اليادە، ميرچا. (١٣٨٨ش). *مقدس و نامقدس* (المقدس وغير المقدس). ترجمة: بهزاد سالكى، چ ٢، طهران: نشر علمى و فرهنگى.

آموزگار، ژاله. (١٣٩٧ش). *تاريخ اساطيرى ايران* (التاريخ الأسطورى فى إيران). طهران: سمت للنشر.

بقايى (ماكان)، محمد. (١٣٨٥ش). *اقبال و ده چهره ديگر* (إقبال وعشرة وجوه أخرى).

طهران: حكايتى ديگر للنشر.
بهار، مهرداد. (١٣٩١ش). *پژوهشى در اساطير ايران* (دراسة فى الميثولوجيا الإيرانية). ط٩، طهران: آگه للنشر.
ـــــــــــ(١٣٩٧ش). *فَرَنبَغ دادگى بُندهِش*. طهران: توس للنشر.
پاينده، حسين، (١٣٩٩ش). *نظريه و نقد ادبى* (النقد النظرى والأدبى). ج١ ، ط٣، طهران: سمت للنشر.
حافظ، شمس الدين محمد شيرازى. (١٣٩٥ش). *ديوان حافظ*. قم: نسيم ظهور للنشر.
دهخدا، على اكبر. (١٣٢٨ش). *فرهنگ لغت دهخدا* (قاموس دهخدا). طهران: جامعة طهران.
رضى، هاشم. (١٣٩٦ش). *اوستا كهن ترين گنجينه مكتوب ايران باستان* (الأفستا أقدم كنز مكتوب لإيران القديمة). ط١٠، طهران: بهجت للنشر.
شميسا، سيروس. (١٣٨٣ش). *داستان يک روح*. (أحداثال روح) ط٦. طهران: فردوس للنشر.
شواليه، ژان و گربران، آلن. (١٣٨٥ش). *فرهنگ نمادها* (ثقافة الرموز). ترجمة: سودابه فاضلى. ج٤، ط، طهران: جيحون للنشر.
صفارى، نسترن. (١٣٩٦ش). *موجودات اهريمنى در شاهنامه فردوسى* (الكائنات الشيطانية فى الشاهنامه لفردوسى). ط٢، كرج: جام گل.
فرودهام، فريدا. (١٣٤٦ش). *مقدمه اى بر روان شناسى يونگ* (مقدمة لعلم النفس عند يونغ). ترجمة: دكتر مسعود ميربها. طهران: اشرفى للنشر.
قلى‌زاده، خسرو. (١٣٩٢ش). *فرهنگ اساطيرى ايران بر پايه متون پهلوى* (الثقافة الأسطورية لإيران على أساس النصوص البهلوية). ط٣. طهران: پارسه.
مورنو، آنتونيو. (١٣٩٧ش). يونگ، *خدايان و انسان مدرن* (يونغ، الآلهة والإنسان الحديث). ط١٠، ترجمة: داريوش مهرجويى. طهران: مركز للنشر.
نورى (آرياچهر)، احمد. (١٣٩٨ش). وَنديداد:*كهن‌ترين كتاب قانون ايرانيان* (فنديدا: أقدم كتاب قانون إيرانى). طهران: آرتاميس للنشر.
ياحقى، محمد جعفر. (١٣٩٨ش). *فرهنگ اساطير و داستانوارهها در ادبيات فارسى* (ثقافة الأساطير والقصص فى الأدب الفارسى). ط٦. طهران: فرهنگ معاصر.

الأطروحات

خلج، جواد. (١٣٩٧ش). «اسطوره و عناصر كهن در اشعار اقبال لاهورى» (الأساطير والعناصر القديمة فى قصائد إقبال اللاهورى). أطروحة ماجستير. كلية الآداب واللغات الأجنبية. كرج: جامعة آزاد الإسلامية.
عباس‌زاده، سميّه. (١٣٨٩ش). «عناصر اساطيرى و حماسى در شعر شاعران برجسته مشروطه»

(العناصر الأسطورية والملحمية فی أشعار الشعراء الدستوريين البارزين). أطروحة ماجستير. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. إيلام: جامعة إيلام.
عيسیزادگان، ليلا. (١٣٩٩ش). «بررسی شخصيّت های اساطيری، تاريخی و دينی در ديوان اقبال لاهوری» (دراسة شخصيات أسطورية وتاريخية ودينية فی ديوان إقبال اللاهوری). كلية الآداب واللغات الاجنبية. تبريز: جامعة تبريز.

المقالات

شهبازی، حميرا. (١٣٩٥ش). «بررسی اساطير خدايان در شعر اقبال» (دراسة أساطير الآلهة فی شعر إقبال). الاجتماع الدولی الحادی عشر لجمعية نشر اللغة الفارسية وآدابها. شهريور. جامعة گيلان. صص ١٢٤٣-١٢٢٠
فاضلی، فيروز و پژهان، هدی. (١٣٩٢ش). «تقابل های معنايی در اشعار اقبال لاهوری» (التناقضات الدلالية فی قصائد إقبال اللاهوری). فصلية "كاوش نامه" المحكمة. السنة ١٤. العدد ٢٧. صص ١٦٦-١٤٧
مشهور، پرويندخت. (١٣٩٠ش). «ابليس در شعر اقبال و عطار نيشابوری» (إبليس فی شعر إقبال وعطار النيسابوری). فصلنامه تحقيقات تعليمی و غنايی زبان و ادب فارسی (مجلة فصلية للبحوث التربوية والغنائية فی اللغة الفارسية وآدابها). جامعة آزاد الإسلامية فرع بوشهر. التسلسل ٨. الصيف. صص ١٥٣-١٤١
مقيسه، محمد حسن. (١٣٩٥ش). «اقبال لاهوری و شيطان» (إقبال اللاهوری والشيطان). مطالعات ادبيات. عرفان و فلسفه (دراسات فی الأدب والتصوف والفلسفة). السنة ٢ العددان ٢ و١. صص ٤٢٦-٤٤٢